

ضوابط التفكير لدى الشيخ عبد الرحمن المعلمي
(دراسة وصفية تحليلية)



د. سليمان بن ناصر العبودي

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جامعة أم القرى

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين، وخالق الخلق أجمعين، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة للعالمين، وحجة على العباد إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نهجه في اتباع القرآن الكريم وهدى سيد المرسلين، فسارت راياتهم في الآفاق مشرقين ومغربين، أمّا بعد:

فإنّ غاية الإنسان في هذه الدنيا تحقيقُ العبودية لله رب العالمين، فهي التي عليها مناط التكليف، وعليها تدور الرسالات السماوية كلها، وإن إطلاق عنان التفكير في آيات الله في الكون والأنفس والآفاق من أجلّ العبادات والوظائف التي حفزنا الخالق عليها في محكم كتابه لأنها إذا امتثلت وأخذت بمنهجية صحيحة فإنها تُسلم الناس إلى الإيثار والعمل الصالح.

ومرتبة التفكير الصحيح ومنهجيته هي من أجلّ الوظائف وأنفعها وأشرفها لتعلقها بدين الله ﷻ، إذ إنّ الشرع حفز أتباعه على توظيف ملكة التفكير في محكمات النصوص في القرآن والسنة، بل لم يكتفِ الشرع بذلك حتى جعل العقل مناط التكليف، وكل ما كان متصلاً بهذا الدين العظيم كان له من القدر والمنزلة بقدر تعلقه به.

وقد تحدث عدد من الباحثين والعلماء في الشرق والغرب عن تعريف التفكير وذكروا أنواعه ومجالاته وضوابطه وآفاقه، وملخص ما يذكر في مفهوم التفكير عند الباحثين أن التفكير هو التحرك الذهني الذي يصبو إلى حل مشكلة ما. فهو سلسلة من النشاطات العقلية غير المرئية يفعلها الدماغ استجابة لمثير خارجي. وهذه النشاطات العقلية ربما كانت صحيحة

سالمة من الآفات، وربما وقعت في آفات التفكير كالتناقض والهوى والتعصب والتقليد وعدم الاطراد.

ولما كان الأمر كذلك؛ وُجِدَ لدى علماء الإسلام المتبحرين في علوم الشرع عناية فائقة بمنهجية التفكير الصحيح وإبرازها وتجليتها والإبانة عنها وعن طرائقها ومجالاتها وضوابطها وآفاقها وصولاً إلى آفات ومشكلاتها من خلال مؤلفاتهم.

وقد كان من هؤلاء العلماء الذين برز لديهم وفي نتاجهم العلمي عناية فائقة بمنهجية التفكير العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وهو من العلماء الأفاضل الذين جابوا في البلاد ثم أقام آخر عمره بمكة المكرمة، وللشيخ جهود علمية كبيرة، وقد طُبعت مؤلفاته كاملة في خمسة وعشرين مجلداً، وهي في علوم شتى نحو علم العقيدة وعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه ومتفرقات أخرى، ومن بين هذه الكتب ما ألفه الشيخ المعلمي بقصد النقض والرد والمناقشة العلمية نحو كتابه "الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة"، وهو نقض علمي متين لكتاب محمود أبو رية في الهجوم على السنة النبوية، ومما ألفه الشيخ المعلمي بقصد النقض والرد والبيان والمناقشة العلمية كتاب التنكيل وكتاب طليعة التنكيل وكتاب رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل، وظهرت بوضوح في هذه الكتب عناية الشيخ المعلمي التامة بمنهجية التفكير الصحيحة والإبانة عنها والتركيز عليها في أثناء مناقشاته العلمية، وهذا يذكر على سبيل المثال فحسب، وإلا فهي أيضاً بارزة في عامة نتاجه العلمي والفكري الذي خلفه.

وهو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسن المعلمي العُتَمي

اليمني، والمُعَلِّمي: بفتح العين وتشديد اللام المكسورة وكسر الميم، آخره ياء، نسبةً إلى أحد أجداده، وقد وقع في نسب آل المعلمي خلاف هل يعود نسبهم إلى أبي بكر الصديق وهو من قبيلة تيم مرة أم إلى قبيلة بجيلة؟

أمّا وقت ولادته ومكانها فقد قال الشيخ في ترجمته: "وُلدت في أواخر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف، بقرية المحاقرة من عَزلة الطُّفْن من مخلاف رازح من ناحية عُمّة من قضاء آنس التابع لولاية صنعاء في اليمن"، ونشأ الشيخ نشأةً صالحةً في بيت صلاح وعلم، وذكر طريقة طلبه للعلم، وكيف تدرّج فيه، وما هي العلوم التي درسها فقال: "قرأت القرآن على رجل من عشيرتنا، وعلى والدي، وكانت طريقة القراءة: تحفيظ القرآن في اللوح حفظاً مؤقتاً، أي أن يحفظ الدرس في اليوم الأول ثم يعيد حفظه في اليوم الثاني، ثم لا يُسأل عنه بعد ذلك؛ إلا الالتزام بتلاوة القرآن في المصحف كل يوم صباحاً ومساءً لكل أحد، حتى بعد الكبر، وعلى كل حال، فإن قراءتي كانت متقنة من جهة القراءة والكتابة، وقبل أن أختتم القرآن ذهبتُ مع أبي إلى بيت الرّيمي حيث كان أبي يمكث هناك يعلم أولادهم ويصلي بهم، ثم سافرت .. حيث كان أخي الأكبر محمد بن يحيى رحمه الله كاتباً في المحكمة الشرعية، وهناك شَرِكْتُ في مكتب للحكومة كان يعلم فيه القرآن والتجويد والحساب واللغة التركية".

ثم بدأت المرحلة الثانية من طلبه للعلم من حين قدوم والده إلى الحجريّة وتوجيهه

١ المدخل إلى آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن المعلمي "1: 44".

٢ إلى آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن المعلمي "1: 45".

لدراسة النحو، وهذا واضح من كلام الشيخ رحمه الله، قال: "ثم جاء والدي رحمه الله لزيارتنا ومكث هناك مدة، سألني عما أقرأ في المكتب فأخبرته، ثم قال لي: فالنحو؟ فأخبرته أنه لا يُدرّس في المكتب، فقال: ادرسه على أخيك. ثم كَلَّم أخِي أن يقرّر لي درسًا في النحو، فكان يُقرّني في "الآجرُومية" مع "شرح الكفراوي"، استمرّ ذلك نحو أسبوعين ثم سافرتُ مع والدي.. وحصلتُ لي بحمد الله تعالى ملكة لا بأس بها، في حال أن زميلي لم يحصل على كبير شيء".^١

وتعدُّ هذه المرحلة من أهم مراحل نشأة الشيخ، وتكوينه العلمي، وقد بدت في أمرين:

ثم انتقل الشيخ بعد هذه المرحلة التأسيسية إلى مرحلة جديدة من العلم، وهي دراسة علم الفقه والفرائض، وقد وفق حين درس على الشيخ أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي، وقد وصفه الشيخ بالتبحر في العلم.

أما جانب التأليف والتصنيف عند الشيخ المعلمي فهو الجانب الأبرز في شخصيته والأبقى بعد موته، وهو الذي عُرف به الشيخ بعد وفاته أكثر من معرفته به في حياته، وإن "تصنيف العالم ولده المخلد".^٢

ومن المعلوم أن مؤلفات العالم من أعظم ما يدل على علمه وتحقيقه وتبحره ومنهجه

١ المدخل إلى آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن المعلمي "1: 47".

٢ صيد الحاطر لابن الجوزي "1: 34"، عناية حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، الطبعة

الأولى "1425هـ".

في التفكير، وقد ضرب العلامة المعلمي بنصيب وافر في هذا الباب، فهو يعدّ من المكثرين من التأليف، إذ تجاوز عدد مؤلفاته مئة وعشرين كتاباً ورسالة، متفاوتة الحجم ما بين رسالة لطيفة وكتاب في مئات الصفحات.

ولم يكن الشيخ متكثرًا في التأليف في حقول علمية مطروقة، وإنما كانت عامة تأليفه استجابة علمية مباشرة لحاجة قائمة، لذا عظم الانتفاع بها بعد توفيق الله، ومن الملحوظ في أسلوبه في كتبه كثرة ضربه للأمثال، وعنايته البالغة بتقريب المعاني بصياغة الأمثال المقرّبة للمراد، وهذا الأسلوب البياني بالغ التأثير على القارئ، وفي تقريب الحق له بأدنى سبيل ممكن، وهو من أعظم ما يعين على تفهيم المراد لذوي الأفهام الضعيفة، والشيخ المعلمي يستعمل هذا الأسلوب الكتابي استعمالاً واعياً بشمرته، مدركاً لنتيجته، فيقول في أحد المواضع بعد أن ضرب بعض الأمثلة: "المقصود من هذه الأمثلة تقريب المعنى الذي ذكرناه"، ويقول: "والمقصود من المثال التّفهيم"^١، وامتاز الشيخ بالصبر على البحث والجلّد على التفتيش والتنقيب والتتبّع والمقارنة، في وقت لم تكن الفهارس قد ظهرت إلا في أضيق الحدود، فقد صرّح الشيخ أنه ربما قرأ المجلد الكامل لاستخراج عبارة أو كلمة، وقد يبقى في تحقيق لفظة أو عبارة أيامًا، ويكاتب العلماء والباحثين في أقطار الأرض من أجل ضبط لفظة أو الوقوف على مصدر قصة أو نحو ذلك.

١ حقيقة التأويل "6: 42"، ضمن مجموع رسائل العقيدة، عبدالرحمن المعلمي، تحقيق: عدنان صفاخان البخاري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى "1434هـ".
٢ حقيقة التأويل للمعلمي "6: 42".

أهمية البحث وأسباب اختياره:

هناك أهمية بالغة كبيرة لدراسة مناهج التفكير وضوابطه لدى العلماء والمفكرين، وتظهر هذه الأهمية من خلال النظر في الأسباب التالية:

1- المعرفة الإنسانية إنما ترتقي وتتقدم لا بمعرفة ركام من المعلومات غير المترابطة، ولا بالإحاطة بالمعارف التفصيلية الواهية الصلة ببعضها، بل تتقدم المعارف الإنسانية بالوقوف على الأنظمة الكلية للمعارف، وتقفز بالتأمل في طرائق التفكير وضوابطه.

2- الاستغراق في معرفة آحاد المسائل المنفصلة عن منهج التفكير يورث ضياعاً للحقيقة الكامنة خلف جميع التفاصيل، أما تتبع مناهج التفكير، فهي تحفظ الحقيقة المتوارية بين ركام الحقائق، وتسهم في استحضار المعلومات العامة الجزئية.

3- الإحاطة بمناهج التفكير تمنح الدارس القدرة على الاختبار والمحاكمة والنقد الجذري، وذلك بمقارنة المخرجات بمقدماتها ورد الفروع إلى أصولها ثم محاكمتها إليها.

4- تسهيل طريق التأسي، وفتح باب الاقتداء للباحثين والدارسين وطلاب المعرفة، وذلك بتمهيد الدرب لهم من خلال تقريب مناهج العلماء الشاملة في التفكير وتوطئة طرائقهم العامة في النظر.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز ضوابط التفكير لدى الشيخ عبدالرحمن المعلمي، وبيان أهميتها في تحصيل النتائج الفكرية الصحيحة، وكشف حضورها في نتاجه العلمي، وذلك بإبراز نماذج من مصنفاة تؤكد التزامه وتطبيقه لتنظيراته في هذا الباب.

هيكل البحث:

وقد تناولت جوانب الموضوع في المباحث التالية:

- المقدمة.
 - التمهيدي وفيه المؤثرات على منهجية التفكير لدى المعلمي.
 - المبحث الأول: العناية بالثبوت والاطراد. وفيه مطلبان:-
 - المطلب الأول: العناية بالثبوت.
 - المطلب الثاني: العناية بالاطراد.
 - المبحث الثاني: العناية بالأصول الفكرية لأصحاب الأقوال.
 - المطلب الأول: العناية بالأصول الفكرية.
 - المطلب الثاني: العناية بالنقد دون تجريح.
 - المبحث الثالث: العناية بالاستقراء والاستنباط.
 - المطلب الأول: الاستقراء.
 - المطلب الثاني: الاستنباط.
 - الخاتمة وأهم النتائج.
- ومن الله سبحانه وحده أستمد العون والرشاد.

تمهيد: المؤثرات على منهجية التفكير لدى المعلي

لا شك أن كل عالم من العلماء يمر في حياته بعدد من المؤثرات التي يكون لها أبلغ الأثر في صوغ طريقة تفكيره وصبغتها بطابع ما، وهناك أمور كثيرة أثرت في حياة الشيخ المعلمي الفكرية، وقد اجتهدت في تلمس أبرز هذه المؤثرات واقتفاء آثارها، واستخلصتها في النقاط التالية:

أولاً: الأثر اللغوي:

كان الشيخ شديد العناية بعامة علوم اللغة، فأما النحو فقد ظهرت عنايته به تمام الظهور من خلال دراسته مبكراً على أخيه وعلى شيخه، ومن ثمَّ عكوفه سنةً كاملة على كتاب مغني اللبيب، وهو كتاب يعتبر فوق طاقة المتوسطين في هذا الفن، ومن خلال تدريس النحو لطلابه كما سبق، وفي ما تركه الشيخ من مؤلفات فوائد ومسائل كثيرة متصلة بعلوم اللغة، و"قصائد برمتها منها المعلقات السبع ولامية الشنفرى، وقصيدة لأحيحة بن الجلاح، ومرثية لأخت المنذر بن عبد شمس وغيرها كثير، قيدها بخطه الدقيق المتقن"، ولاشك أن للغة والتبحر فيها أبلغ الأثر على العقل الإنساني في التحكم بمنهجيته في التفكير، فقد روى ابن أبي حاتم في كتابه آداب الشافعي ومناقبه بسنده عن الشافعي قال: "أصحاب العربية جن الإنس، يبصرون ما لا يبصر غيرهم".^١

١ المدخل إلى آثار الشيخ المعلمي "1: 54".

٢ آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، تحقيق عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى "1424هـ".

وكانَّ الشافعيَّ باتساعه اللغوي المعروف يروي في هذا النص تجربته الشخصية التي ورثها عن علم اللغة، ورأى أن تبحره اللغوي نَمَى عنده ملكة النظر والاستنباط، ورفع مستوى الأداء العقلي في التفكير إلى الغاية، فجاءت شهادته لأهل اللغة ومقدرتهم على إِبصار ما لا يبصره سواهم من هذه الجهة. وقد توارد هذا المعنى لدى عدد من العلماء السابقين، فيقول ابن المقفع: "بالأدب تنمى العقول وتزكو"، ويقول الفراء^٢: "قلَّ رجل أنعم النظر في العربية وأراد علماً غيره إلا سهل عليه".

هذا وقد أشار إلى معنى علاقة اللغة بالفكر والذي ذكرته عن العلماء السابقين بعضُ الباحثين المعاصرين فذكر أننا "لا نستطيع أن ننتج من الأفكار إلا ما تسمح به اللغة التي نستخدمها، وإن درجة خصوبة الفكر تتحدد بمستوى نمو اللغة، ومن هنا فإن الشخص الذكي جدا لو فكّر في مسألة من المسائل وكان أمياً، أو كانت مهارته اللغوية ضعيفة، فإنه لا يستطيع

١ هو عبد الله بن المقفع أحد البلغاء والفصحاء، ورأس الكتاب، وأولى الإنشاء، من نظراء عبد الحميد الكاتب، وكان من مجوس فارس، فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح، وكتب له، قال الأصمعي: صنف ابن المقفع "الدرة اليتيمة" التي ما صنف مثلها. ولد "106هـ" وتوفي "142هـ" انظر سير أعلام النبلاء "11: 260".

٢ الأدب الصغير لابن المقفع "16"، عناية وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم، الإسكندرية.
٣ هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بني أسد من أهل الكوفة، نزل بغداد، وأملى بها كتبه في معاني القرآن وعلومه، وكان أحفظ الناس لنوادير الكسائي، ولد سنة "144هـ"، وتوفي "207هـ". انظر تاريخ بغداد "16: 224".

الاهتداء إلى حل معقد لما يفكر فيه بسبب قصور معرفته باللغة^١.

فالمقصود أن ليد الطولي للشيخ المعلمي في اللغة وعلومها غاية الأثر في حياته الفكرية،

وليست اللغة مقصورةً على معرفة القواعد اللغوية في النحو والصرف والبلاغة والعروض

والاشتقاق ونحو ذلك، وليست هي في مجرد الاستكثار من حفظ الألفاظ والمفردات، وإنما

المعرفة اللغوية هي طول الممارسة لأساليب العرب بعد معرفة عامة القواعد، وهكذا كان الشيخ

المعلمي واعياً بهذه المسألة الدقيقة، فاطلع على قصائد العرب الجياد واعتنى بها عناية تامة، ونظراً

في كتبه هذا المعنى وأصله تأصيلاً^٢، وهذا المعنى المتعلق بطول الممارسة والمعاناة يغفل عنه كثير

من يقصرون علم اللغة على استيعاب القواعد المجردة، أو في الاستكثار من حفظ المفردات.

ثانياً: أثر الرحلة:

تعددت رحلات الشيخ وتنقلاته من بلد إلى بلد، فللشيخ ثلاث رحلات رئيسة،

الأولى رحلته إلى الإدريسي "1337هـ - 1341هـ"، والثانية إلى الهند "1345هـ -

1371هـ" وهي أطول رحلاته فقد مكث في الهند خمسة وعشرين عاماً، والثالثة رحلته إلى

مكة المكرمة "1371هـ - 1386هـ" واستقراره بها إلى أن توفي، وقد تخلل ذلك انتقاله إلى

عدن وإندونيسيا، ولا شك أن للرحلات والانتقال من بلد إلى بلد أثراً عظيماً على تفكير

١ تكوين المفكر لعبدالكريم بكار "59"، عبدالكريم بكار، دار السلام، الإسكندرية، الطبعة الأولى

"1431هـ".

٢ ينظر: رفع الاشتباه للمعلمي "2: 315"، تحقيق د. عثمان بن معلم شيخ محمود، دار عالم الفوائد، مكة

المكرمة، الطبعة الأولى "1434هـ".

الإنسان وعلى تفتيق عقله وتوسيع مداركه، بالإضافة إلى ما يحصّله من علوم ومعارف كلّ بلد يزوره، فعلى سبيل المثال في — "الرحلة الهندية انتقل الشيخ إلى عالم جديد عليه من حيث الثقافة والعادات، وانفتح على علوم جديدة لم يكن لها من الذبوع والانتشار كما في الهند، كعلم الحديث والرجال، وبانتقاله إلى دائرة المعارف العثمانية للعمل في تحقيق أمّات كتب الحديث والرجال واللغة والأدب وغيرها يكون الشيخ قد انتقل إلى عمل جديد لم يمارسه من قبل ولا كان معروفاً في البيئّة التي عاش فيها في اليمن ولا عند الإدريسي، فهي تجربة جديدة بحق تمكّن الشيخ بفضل الله ثم بفضل مواهبه المتعددة وعلومه المتنوّعة وذكائه المفرط من إتقان هذه الصنعة في أقرب وقت، بل صار هو العَلَم المشار إليه في الدائرة في تصحيح الكتب وحلّ مشكلات التحقيق خاصة فيما يتعلق بكتب الحديث والرجال".^١

ثالثاً: أثر علم الحديث:

لا شك أن كلّ علم يترك أثراً بالغاً على متعلّمه في طريقة تفكيره ومجال نظره، وقد أشار إلى معنى أثر العلوم على حاملها عدد من العلماء، فعلى سبيل المثال قال الإمام الشافعي: "من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبّل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم العربية رقىّ طبعه"^٢، وعلوم السنة على وجه الخصوص علوم عميقة الغور، بالغة الدقة، محكمة المنهج، غزيرة التفاصيل، تفتقر إلى حس علمي عالٍ، وتحتاج إلى مواهب لدنيّة خاصة، وتساهم بطبيعتها الذاتية التفصيلية في شحذ

١ المدخل إلى آثار الشيخ المعلمي "١: ٧٥".

٢ أدب الدنيا والدين للماوردي "٧٧"، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى "١٤٣٤ هـ".

إمكانيات دارسيها مساهمة كبيرة، لاسيما ما يتعلق منها برجال الإسناد جرحا وتعديلا، وقرائن الاتصال والانقطاع، واستخلاص القواعد الفاعلة في هذه الحقول الدقيقة، وذلك من خلال استقراء تصرفات الأئمة النقاد على اختلاف مراتبهم، وقد كان الشيخ يشكو بمرارة ساخنة في عدة مواضع مختلفة في كتبه من غربة فنون السنة النبوية في هذا العصر. مما سبق يتضح أن الشيخ المعلمي قد انتفع في بناء منهجه الفكري بالتضلع في دراسة علوم السنة النبوية، وبالاشتغال على تحقيق أبحاث الكتب المتعلقة بها، فكانت كتاباته ومنهجه الفكري عامة يدل على شغوف نظر، وسعة أفق، ودقة بالغ في التناول للمسائل العلمية.

المبحث الأول

العناية بالتثبت والاطراد

المطلب الأول: التثبُّت

من أركان التفكير المنهجي الصحيح هو التثبُّت، ومن اختل عنده هذا الركن فقدَّ أعظمَ المرتكزات المنهجية للوصول إلى نتائج علمية صحيحة، ذلك أن النتائج تبنى على المقدمات، وإذا كانت المقدمات غير ثابتة فكلُّ ما يُبنى عليها يكون مجانباً للصواب. والحديث عن مكانة التثبُّت لدى الشيخ المعلمي هو حديث متشعب طويل الذيل كثير الأمثلة، وذلك من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: كون الشيخ من أكابر علماء الحديث المحررين في هذا العصر، ومعلومٌ

١ ينظر مثالا: الأنوار الكاشفة للمعلمي "119: 12".

٢ ينظر: فصول في التفكير الموضوعي لعبدالكريم بكار "51".

مكانة التثبّت في علوم السنة وعند المشتغلين بالحديث عموماً، وعند المحررين منهم على وجه الخصوص.

والجهة الثانية: كون الشيخ "من العلماء المحققين بالمعنى الحقيقي للكلمة، ومن الطراز الأول من المحققين بمعناها الاصطلاحي المحدث، فهو من طبقة الأستاذ عبد العزيز الميمني والشيخ أحمد شاکر والأستاذ محمود شاکر رحمهم الله"، والمشتغل بصنعة التحقيق - بالمعنى الاصطلاحي المحدث - ببراءة لا بد أن يظهر عليه العناية بالتدقيق والتثبّت.

والجهة الثالثة: كون الشيخ من العلماء الذين دخلوا في مناظرات علمية ومجادلات معرفية في مسائل كثيرة، وهذا المجال من شأنه تنمية ملكة التثبّت في نفوس البارعين فيه، إذ تلجئهم مضايق المناظرات إلى فحص مقدّمات المخالفين، والنظر في صحة نسبة الأقوال، ومن المعلوم أنّ من أشهر قواعد الجدل العلمي: إن كنتَ ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل!^١
المعلمي المحدث:

فأما الجهة الأولى فالكلام فيها طويل، وقد أفردت عدة دراسات أكاديمية في الكلام عن منهجية الشيخ في علوم السنة النبوية عموماً، وعن منهجه في التثبّت من أخبارها، لكن نذكر هنا أمثلة تفي بالغرض، وتدلّ على ما ورائها.

من ذلك عنايته بمنهج مقارنة الرويات وبمقابلتها، فإن هذا المنهج هو طريق المتقدمين لمعرفة علل الروايات الحديثية، وبه تُعرف المخالفات بين الرواة، وبها يتميز

١ محمد أجمل الإصلاحي مقدمة كتاب مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص "6: 23".

٢ ينظر منهج الجدل والمناظرة لعثمان حسن "2: 645".

الروايات المنكرة والشاذة من المحفوظة، وكما روي عن علي بن المديني قوله: "الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه".^١

فمن أمثلة تطبيق الشيخ لهذا المنهج في قوله عن قصة مقتل عمر الفاروق -رضي الله عنه-: "مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِالرُّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ وَجَدَ مَخَالَفَةَ: مِنْهَا عَدَدُ الطَّعْنَاتِ، اتَّفَقَتِ الرُّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ عَلَى أَنَّهَا ثَلَاثٌ فَقَطْ، وَوَقَعَ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّهَا سِتٌ . فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ النِّظَرَ فِي مَتْنِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ يَبِينُ أَنَّهَا مَدْخُولَةٌ لَا يُمْكِنُ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهَا فِي شَيْءٍ...".^٢، ثم بعد ذلك تكلم الشيخ في إسناد الرواية.

تمحيص دور القواعد العلمية الحديثة:

القواعد العلمية ينتفع بها في العلوم، لكنها ليست قاضية على العلوم، والشيخ المعلمي يدقق في هذا الدور للقواعد العلمية في مواضع شتى، فمن ذلك كثرة تنبيه الشيخ على عدم اطراد القواعد الحديثة، وإنما يجب فحص الأمثلة العارضة في ضوء القواعد الحديثة، فلا يكون الاعتماد على القواعد مطلقاً، وإنما لا بد من الممارسة الطويلة التي تميّز أي القواعد أحقّ بالاستدعاء والاستعمال، فيقول الشيخ عن أكثر المشتغلين بالحديث في زمانه: "أكثرهم ليس عندهم من التبحر في العلم، وممارسة الفن ما يؤهلهم للترجيح ومعرفة العلل، وأعظم ما عند أحدهم أن يتمسك بظاهر قاعدة من قواعد الفن ؛ فإن كان الحديث موافقاً له تمسك بقولهم: "إنَّ الجرح لا يُقبَلُ إلا مفسِّراً"، أو: "إن كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُلتفت

١ معرفة أنواع علوم الحديث للحاكم "1: 188".

٢ الأنوار الكاشفة للمعلمي "12: 153".

إليه"، أو: "إنَّ المتصلِّب في مذهبٍ يجب التأيُّن في قبول كلامه في أهل المذهب الآخر"، أو نحو ذلك. وإن كان مخالفاً له تمسَّك بقولهم: "الجرح مقدَّم على التعديل"... وغاية أحدهم أن ينقل عن بعض أهل العلم تعليل الحديث أو يتنبه هو للعلَّة إن تنبَّه، ثم يعمل في ذلك عمله في الجرح والتعديل؛ فإن كان الحديث موافقاً له تمسَّك بقولهم: "المثبت مقدَّم على النافي"، أو: "زيادة الثقة مقبولة"، أو: "إن من الأئمة من يقبل المرسل والمنقطع مطلقاً"، أو: "إنَّ تصحيح بعض العلماء للحديث يدلُّ أنه علم أن المدلَّس قد سمع الحديث ممن عنعنه عنه"... وهذه القواعد منها ما هو ضعيفٌ، ومنها ما ليس بكليٌّ، ومنها المختلف فيه. والعالم المتبحر الممارس للفنِّ هو الذي يصلح أن يحكم في ذلك".^١

وينتقد الشيخ منهج المتعجلين في إعمال قواعد تعارض الجرح والتعديل دون تثبت ونظر كافٍ في قرائن كلِّ حال، فيقول: "إنَّما يحتاج إلى التثبت والتأمل فيمن جاء فيه تعديل وجرح. ولا يسوغ ترجيح التعديل مطلقاً بأن الجرح كان ساخطاً على المجروح، ولا ترجيح الجرح مطلقاً بأن المعدل كان صديقاً له، وإنما يستدل بالسخط أو الصداقة على قوَّة احتمال الخطأ إذا كان محتملاً. فأما إذا لزم من اطراح الجرح أو التعديل نسبةٌ من صدَّر منه ذلك إلى الكذب أو تعمَّد الباطل أو الغلط الفاحش الذي يندر وقوع مثله من مثله، فهذا يحتاج إلى بيِّنة أخرى، لا يكفي فيه إثبات أنه كان ساخطاً أو محبباً".^٢

ومن جملة تأصيل الشيخ لمسألة عدم اطراد القواعد لكلِّ حالة، هو كلامه في تأصيل

١ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 304-305".

٢ الطليعة للمعلمي "9: 183".

مسألة أثر البدعة على الرواية، فينبه الشيخ إلى النظر والتفتيش والتثبت في دراسة كل حالة على حدة^١.

وكلام الشيخ في القواعد لا يختص عنده بالقواعد الحديثية وإنما يذكر الشيخ نظير هذا التنبيه في فنون أخرى، فقواعد العلوم ذات حدّين لا ينتفع بها إلا العالم الممارس الذي يحسن تنزيلها على آحاد المسائل.

ومن بالغ تثبت الشيخ أنه ينتقد منهج تثبيت الروايات الواهية لمجرد وجود قرائن على صحتها، فما جاء بإسناد ضعيف، ثم جاءت قرائن تثبت وقوع أصله، يجب - عند الشيخ - أن يُقال عنه بأنه ضعيف لكن القرائن تثبت أن له أصلاً، وفي هذا المنهج دقة ظاهرة وتثبت بالغ ومنح القرائن منزلتها الكافية.

وينتقد الشيخ القواعد غيرَ المعتمدة والتي تعتمدها بعض المذاهب وهي تفضي إلى ردّ كثير من السنن النبوية بلا تثبّت، فمن ذلك قاعدة: المنقول آحاداً، والعادة قاضية بأنه لو صح لتُقل بالتواتر، لتوفر الدواعي على نقله . فيقول: "ينبغي التثبت في هذا، فقد تقع القضية ولا يحضرها إلا الواحد أو الاثنان، وقد يحضر جماعة ولا ينتبه لها منهم إلا الواحد أو الاثنان، وقد يشاهدونها ولا يرون لها أهمية فلا ينقلونها.. والمقصود هنا أنه ينبغي التثبت في رد الأحاديث بما ذُكر، فلا يُقدّم على ذلك مع قيام الاحتمال"^٢.

١ مجموع الرسائل الحديثية "15 : 43".

٢ الأنوار الكاشفة للمعلمي "12 : 392".

٣ مجموع رسائل أصول الفقه "19 : 22 - 23".

الشيخ المحقق:

فأما الجهة الثانية وهي كون الشيخ من كبار المشتغلين بتحقيق الكتب وإخراجها، ولم يتوقف عند هذا الشأن التطبيقي، بل إن الشيخ كتب في تنظير التحقيق العلمي وذكر مناهجه في ثلاث رسائل، ورسائل "الشيخ هذه من أول ما كُتِبَ باللغة العربية في فن التحقيق... ورسالته المبيضة مع عدم تمامها قد عاجلت المسائل التي هي من لبّ الموضوع وصميمه معالجة علمية دقيقة منظمة".

وما كتبه الشيخ في هذه الرسائل النظرية لصنعة التحقيق يدل على بالغ عنايته بمنهجية التثبت، ومن أمثلة ذلك قوله عن المقابلة للتصحيح بين النسخ المخطوطة: "قد يُكتفى من المقابلة بأن يقابل رجل واحد مع نفسه، وهذا وإن كان أحوط من بعض الجهات فإنه مظنة التساهل والتسامح المؤدي إلى إخلال شديد، لأن ما فيه من كثرة التعب يهون على النفس التسامح، نعم، إذا وقعت المقابلة بين رجلين، ثم قابل رجل مع نفسه لمزيد التثبت، فحسنٌ. وإذا ابتدأ رجل فقابل مع نفسه، أو كانت المقابلة بين اثنين ولكن على وجه لا يوثق به، كأن كان أحدهما أو كلاهما ممن لا يوثق بعلمه أو بتحريره واحتياطه = وجب إعادتها على الوجه الموثوق به".

الشيخ المناظر:

وأما الجهة الثالثة فهي كون الشيخ من العلماء الذين دخلوا في مناظرات علمية

١ مجموع رسائل في التحقيق وتصحيح النصوص مقدمة محمد أجمل الإصلاحي "9: 23".

٢ ثلاث رسائل في أصول التصحيح العلمي "28: 23".

ومجادلات معرفية، فهذا كان له أثره البالغ على الشيخ في العناية بالتثبت من صحة نقول المخالفين وملاحظة بتر بعضهم للنصوص، ومن صحة ما يستدل به عليهم. فأما تثبُّته من نقول المخالفين وملاحظة بترهم للنصوص فأمثلته كثيرة جداً، وذلك نحو ردّه على أبي رية حين قال: "حديث... ليس بمتواتر.. وقد قال الحافظ ابن حجر وهو سيد المحدثين بالإجماع وأمير المؤمنين في الحديث ما يلي..". فقال الشيخ: "ذكر عن "فتح الباري" اعتراض بعضهم على تواتره وسكت، وفي "فتح الباري" بيان الجواب الواضح عن ذلك الاعتراض، فراجعه!". ومن أمثلة ذلك قال أبو رية: "وقال وهو يبين أن بطليّ الأسرائيليات... هما كعب الأخبار ووهب بن منبه: وما يدرينا أن كل [تلك] الروايات - أو الموقوفة منها - ترجع إليهما...".

فقال الشيخ: "كلمة "تلك" ثابتة في مصدر أبي رية، والكلام هناك في روايات جاءت في قضية خاصة، فأهمل أبو رية بيان ذلك وأسقط كلمة "تلك"؛ ليُفهمك أنّ صاحب "المنار" يبيِّن أن تكون المرويَّات الإسلامية كلها راجعة إلى كعب ووهب". ومن أمثلة ذلك ذكر أبو رية قول ابن حجر^٢ في "الفتح" في الكلام على حديث إيضاء

١ الأنوار الكاشفة "12: 100".

٢ الأنوار الكاشفة "12: 302".

٣ هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني الشافعي، ابن حجر العسقلاني، وزادت تصانيفه على "150" مصنفًا ورزق فيها السعد والقبول، معظمها في فنون الحديث، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصليين وغير

النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن وقال: "اقتصر على الوصية بكتاب الله لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص أو بطريق الاستنباط، فإذا تبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به".

فقال الشيخ: "كذا صنع أبو رية! وآخر عبارة ابن حجر في "الفتح" هكذا: "... عملوا بكل ما أمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - به؛ لقوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } [الحشر: 7] الآية".

المطلب الثاني: الاطراد

من أعظم دلائل استقامة التفكير المنهجي وأبين براهين صحة الفكرة اطرادها وسلامتها من التناقض، ويقال: "اطرد الأمر تبع بعضه بعضاً"^١، ويقابل الاطراد التناقض وهو "اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى، كقولنا: زيد إنسان، زيد ليس بإنسان"^٢.

ذلك. منها: «فتح الباري»، «نتائج الأفكار»، «نخبة الفكر». ولد سنة "773هـ"، وتوفي "852هـ". انظر: الضوء اللامع للسخاوي "2: 36".

١ الأنوار الكاشفة "12: 413".

٢ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية "140"، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣ التعريفات للجرجاني "68"، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة

الأولى "1403هـ"، وينظر الكليات للكفوي "305".

وإذا كانت الفكرة متناقضة انهدم أصلها وتساقطت أركانها، والتناقض على وجهين: فإما أن يكون التناقض في الفكرة نفسها، فلا يستقيم أولها مع آخرها، وإما أن يكون التناقض في فكرتين ينتحلها رجل واحد، ويزود عنهما معاً، وقد كان العلماء بالغى الاحتفاء بالاطراد المنهجي في التفكير، وكثيراً ما يوردون على الفكرة التي يريدون نقضها إيراد التناقض وسؤال عدم الاطراد، ويذكر العلماء شروطاً لصحة دعوى التناقض، وذلك لأن الفكرة المتناقضة مع نفسها شديدة التّهافت الضمّني وشيكة الانهيار الداخلي.

وأصل التناقض لا يكاد يسلم منه أحد البشر إلا نبي مرسل، كما قال ابن تيمية: "ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين"، فليس الإشكال في وقوع مادة يسيرة من التناقض في كلام أحد من الناس، وإنما يكون الإشكال من جهتين:

١ - في كثرة وقوع التناقضات وتتابعها.

٢ - في وجود دوافع غير علمية خفية توقع في الاضطراب المنهجي وعدم

الاطراد.

أسباب كثرة التناقض وعدم الاطراد:

يذكر العلماء المحققون للتناقض أسباباً، وعامتها يعود إلى سببين:

- قلة التجرد في نصره الحق وفي صدق تحريه وإن خالف هوى العالم.

ومن ذكر هذا السبب من أسباب عدم الاطراد وكثرة الاضطراب، وأشار إليه غير

١ ينظر - على سبيل المثال - معيار العلم للغزالي "122".

٢ مجموع الفتاوى "29: 42".

مرة الشيخ المعلمي، وذلك نحو قوله لغريمه الكوثري: "على أنه لعلك إذا راجعت كلامك تبين لك أن جماعة ممن تزعم - عند حاجتك - أنه لا يعتدّ بتوثيقهم، قد احتججت أنت مرّةً أخرى - أو مرارًا - بتوثيقهم! فإن لم يكن هذا قد وقع منك، فعسى أن تحتاج إليه فيما بعد، فتحرّري الحقّ خيرٌ وأسلم".^١

ويقول الشيخ ناعيا مسلك طالب العلم الذي يقوم بدور المحامي في المحكمة الذي لا يعنيه طلب الحق وإنّما يعنيه فقط مصلحة موكله وأن هذا المسلك موقعٌ لصاحبه في التناقض: "وإنّ كان الأستاذ [الكوثري] يخالف في ذلك، فيصدّق من كذبه الأئمة وكذبه واضح، كما يكذب أو يتّهم من صدّقه وصدّقه ظاهر، شأن المحامين في المحاكم، معيارُ الحق عند أحدهم مصلحةٌ موكله!"^٢.

- نصرّة الأقوال الضعيفة، التي تفضي بمن يتحلها إلى أحد أمرين، إما التزام لوازمها الفاسدة، وإما عدم الالتزام والتناقض.

ومن ذكر هذا السبب من أسباب عدم الاطراد ابنُ تيمية^٣، وأشار الشيخ المعلمي إلى هذا السبب بقوله: "ومن احتاج إلى السنة من المقلدين إنّها همّة نصرّة مذهبه، فينظر إلى الأحاديث المروية، فيرى منها ما يوافق مذهبه ومنها ما يخالفه، فيجتهد في تقوية ما يوافقه، وتضعيف ما يخالفه، فإذا وجد في الأصول المختلف فيها ما يساعده التزمه ونصّره، وسعى في

١ شكر الترحيب للمعلمي "9: 201".

٢ التنكيل للمعلمي "10: 61".

٣ العقود لابن تيمية "85".

توهين ما يخالفه، وإن لم يجد أصلاً يساعده على هواه اخترع أصلاً وسعى في تثبيته بين أهل مذهبه على الأقل، ولهذا يكثر تناقضهم حتى في الأصول".

فالمقصود أن العلماء المحققين كانوا كثيراً ما يستعملون إيراد التناقض وسؤال عدم الاطراد على حجة الخصم توهيناً لقوله ونقضا لدعواه.

نماذج وتطبيقات لدى الشيخ المعلي:

للشيخ المعلي عناية فائقة بالاطراد المنهجي، ويظهر هذا المعنى من النصوص السابقة المنقولة عنه، ومن النصوص والنماذج الآتية، فيلاحظ فيها كثرة استعماله وقوة إحكامه لحجة التناقض وعدم الاطراد، فهو يستعملها لبيان وهاء كثير من الأقوال التي يناقشها، ويذكرها في أحوال متعددة سواء في أثناء مناقشة الأصول، أو في مناقشة الفروع، فمن أمثلة إيراده لقادح التناقض في أثناء مناقشاته العلمية قوله عن معطلة الصفات: "هم يبالبون بزعمهم في نفي مشابهة الرب عز وجل لشيء من خلقه، ثم يحكمون عليه بما استقرؤوه من خلقه"، أي أنهم بالغوا في التنزيه الذي حملهم على تعطيل الله من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة بذريعة أن الإثبات يقتضي مشابهته بالمخلوق، ثم هم يشبهونه بما شاهدوه من المخلوقات، فيقولون مثلاً: "لو أمكن رؤية الله عز وجل لكان من جنس هذه

١ مجموع الرسائل الحديثية للمعلي "15: 87 - 88".

٢ ينظر مثالا: الأم للشافعي "8: 570"، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى "2001م".

٣ حقيقة التأويل للمعلي "6: 45".

المحسوسات!"^١.

ومن أمثلة إيراده لقادح التناقض قوله لتأخري الحنفية إتهم يتجحون بأنهم في مذهبهم يقدمون الأحاديث الضعيفة على القياس، ولكنهم في حقيقة الحال يقدمون آراء سلفهم على الأحاديث الصحيحة! يقول الشيخ: "بينما تجد الحنفية يتجحون بأن مذهب أبي حنيفة وسائر فقهاء العراق تقديم الحديث الضعيف على القياس - وقد ذكر الأستاذ ذلك في "التأنيب" - إذا بهم يردون كثيرًا من الأحاديث الصحيحة، لمخالفتها آراء سلفهم، وآراءهم التي أخذوا بها... فالحنفية يعرفون شناعة ردّ السنة بالرأي، ولكنهم يتلمسون المعاذير، فيحاولون استنباط أصول يمكنهم إذا تشبثوا بها أن يعتذروا عن الأحاديث التي ردّوها بعذر سوى مخالفة القياس، وسوى الجمود على اتباع أشياخهم. ولكن تلك الأصول مع ضعفها لا تطرد لهم؛ لأن أشياخهم قد أخذوا بما يخالفها؛ ولهذا يكثر تناقضهم"^٢.

ومن أمثلة ذلك قول المعلمي: "وإذا كان أبو حنيفة قد يأخذ برأي رجل واحد من التابعين، كشرّيح في الوقف، وإبراهيم في المزارعة، فكيف يترك سنة لتفرّد بعض الصحابة بها؟!"^٣.

ويلاحظ أنّ الشيخ لا يناقش في هذا المقال الإمام أبا حنيفة وإنما يناقش من شرح مذهب أبي حنيفة ونسبه إليه، والدليل على هذا قول المعلمي - قبل ذلك الموضوع: "أما نحن

١ حقيقة التأويل للمعلمي "6: 42".

٢ التنكيل "10: 38-39".

٣ الطليعة "9: 101".

فلا تُعتمد على أبي حنيفة بقول الأستاذ، ولا بحكاية أبي شامة الشافعي الذي بينه وبين أبي حنيفة نحو خمسمائة سنة، بل نقول: لعلّ أبا حنيفة لم يرغب عن انفراد أحدٍ من الصحابة، بل هو موافقٌ لغيره في أن انفراد الصحابي مقبول على كلِّ حال، وإنما لم يأخذ ببعض الأحاديث؛ لأنّه لم يبلغه من وجه يثبت، أو لأنه عارضه من الأدلة الشرعية ما رآه أرجح منه".

ومن أمثلة ذكره لإيراد التناقض وعدم الاطراد مناقشته للكوثري في ردّه للروايات المحققة بدعوى وجود ميل وانحراف لدى الناقد ثم اطراحه للقاعدة بعد ذلك إذا أفضت لما يخالف هواه، يقول المعلمي: "الأستاذ يتشبّث بهذه القاعدة ويتوسّع فيها جداً، فيردّ كثيراً من الروايات المحققة والجرح المفسّر المحقّق بدعوى انحراف الراوي أو الجرح عن المجروح، وإن كان الراوي أو الجرح جماعةً من الأئمة، ولم يثبت ما يعارض قولهم، بل مع ثبوت ما يوافق قولهم عنمن كان موافقاً للمجروح مائلاً إليه... ثم يناقض الأستاذ ذلك ها هنا فيزعم أن تلك الكلمة المحتملة الصادرة من أبي يعلى - مع تبين نفرته عن ابن عمار - يردّها توثيق الجمهور لابن عمار".

ومن أمثلة ذلك مناقشته لقاعدة تضعيف الراوي إذا لم يخرج له الشيخان في صحيحيهما مع تخريجها له في غير ذلك، يقول الشيخ المعلمي: "ليس كلُّ من لم يرو عنه الشيخان غير قوي. والأستاذ نفسه لا يلتزم هذا".

١ الطليعة "9: 57-58".

٢ شكر الترحيب "9: 266-267".

المبحث الثاني

العناية بالأصول الفكرية لأصحاب الأقوال

المطلب الأول: العناية بالأصول الفكرية:

المقالات المتحللة في الفروع والأصول عند عامة أهل الملل والطوائف تتفرع عن أصول فكرية، وتنشأ وفق أساسيات داخلية، وتُبنى على مسلمات ذهنية، ففي كل حقل علمي أيا كان هناك أصول محددة وقواعد متضمنة وفروع ناشئة عنها، وما لم يعرف الباحث أصول الأفكار والأقوال وبواعثها الخفية فإنه يبقى في قلبه تردد واشتباه، وربما حمله ذلك على الرد على أصحابها دون الوقوف على مواضع الإشكال عندهم، والشيخ عبدالرحمن المعلمي -رحمه الله- كثيراً ما يلفت انتباه القارئ إلى الأصول الفكرية والبواعث الخفية وراء المقالات المتحللة في الأصول والفروع، ويدخل في هذا الباب عند الشيخ كثرة الإشارة إلى أصل ضلال الفرقة والطائفة والعلم سواءً في العبادات أو في المقالات.

أمثلة وتطبيقات:

تحدث الشيخ عن أصل ضلال المعطلة في الصفات فقال: "اعلم أن سبب ضلال

القوم أمور:

الأول: قلة حظهم من معرفة الكتاب والسنة.

الثاني: تقديسهم للفلاسفة فوق تقديس الأنبياء بدرجات. الثالث: ما في فطرة الإنسان

من دعوى أن عقله يستطيع إدراك كل شيء".

ومن ذلك ذكر الشيخ المعلمي أصل شرك العرب، وأنه عبادة الملائكة، فقال: "قد

علمت مما سبق أن أصل شرك العرب هو عبادتهم للملائكة، وكذلك قوم هودٍ وصالحٍ وقوم إبراهيم والمصريُّون... ومثلهم اليونان والهند، وقد مرَّ طرفٌ من شرك الهند عند ذكر الكواكب وغيرها..".

ومن ذلك إشارة الشيخ إلى أصل قول المتفلسفة الذي أوقعهم في القول بأن الملائكة هم العقول العليا، فقال: "أتباع أرسطو يزعمون أن الملائكة هم العقول العليا التي توهموها وبنوها على أصلهم الباطل أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحدٌ، وبنوا على ذلك فظائع من الكفر والشرك، إلا أن قولهم كان محصورًا في أدمغة أفرادٍ محدودين قد انقرضوا بحمد الله تعالى".^١

ومن ذلك ذكره أن أصل ضلال المعطلة في التفكير قياس عالم الغيب على عالم الشهادة فيقول: "مثار الغلط: التصور، فإن الذهن إذا تصور مطلق اليد والوجه ونحوهما تصور ماهية وكمية جريا على ما يعتاد هو يعرفه في المحسوسات . فيغلط بعض النظار، فيظن لشدة تلازمهما في الذهن تلازمهما في الخارج، وليس الأمر كذلك".^٢

ومن ذلك ذكره أصل ضلال بعض الفلاسفة من المسلمين من أمثال ابن رشد وابن ملكا وأضرابهم أنهم وقعوا في فخ الانبهار المطلق بالفلاسفة اليونان.^٣

من ذلك ذكره لبعض الأصول الفكرية التي تحمل صاحبها على عدم المبالاة

١ رفع الاشتباه "3: 714".

٢ تحقيق الكلام للمعالي "4: 163".

٣ يسر العقيدة الإسلامية "5: 31".

بالمرويات، وذلك بين يدي حديثه عن ردّ الأستاذ الكوثري لبعض الروايات، يقول الشيخ:
"الأستاذ من أهل الرأي، ويظهر أنه من غلاة المقلّدين في فروع الفقه، ومن مقلّدي المتكلمين،
ومن المجارين لكُتّاب العصر إلى حدّ ما، وكلّ واحدة من هذه الأربع تقتضي قلةً مبالاة
بالمرويات، ودربةً على التمثّل في ردّها، وجرأةً على مخالفتها واتهام روايتها.."، ثم شرح
الشيخ كل أصل من هذه الأصول الأربعة على حدة.

ويدخل في هذا الباب بحث الشيخ وتنقيبه عن أغراض وبواعث بعض المقالات
التي يناقشها، وشرحه لقصة نشأة بعض المذاهب والأصول الفكرية الخفية الباعثة لها.
ومن ذلك ذكره لأصل كان ذائعاً بين المتكلمين، وهو الذي أورثهم بعداً مضاعفاً عن
الصواب، وهو قلة البضاعة من السنة النبوية سواء في الاطلاع عليها أو في اختراع قواعد
تفضي إلى تنحيتها، وأثر جميع ذلك على ضلال بعض رؤوس المتكلمين؛
ومن ذلك كلام الشيخ عن أصل الخوارج التي أورثهم هذه الجرأة العظيمة على
الاستهانة بدماء الناس ودياناتهم، فيذكر أن الخوارج الأوائل كانوا عرباً فصحاء "بلُغتهم نزل
القرآن، وإنما أُتوا من جهلهم بالهدي النبوي، واستغنائهم عن الاهتداء بالعارفين به من

١ التنكيل للمعلمي "10: 35".

٢ ينظر مثلاً: مجموع رسائل التفسير للمعلمي "7: 17"، تحقيق: د. محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد،
مكة المكرمة، الطبعة الأولى "1434 هـ"، ورفع الاشتباه للمعلمي "2: 208".

٣ ينظر مثلاً: يسر العقيدة الإسلامية "5: 29-30".

٤ ينظر: التنكيل "11: 371".

ومن ذلك كلام الشيخ المعلمي عن أصول فلاسفة العصر، وأنهم تجريبون لا يؤمنون إلا بالمحسوسات^٢، والذين يعبر عنهم جون لوك في قوله: "لنفترض أن العقل صفحة بيضاء خالية من كل صورة أو فكرة، فكيف له أن يمتلئ إذن؟ من له كل مواد الفهم والمعرفة التي نجدها فيه؟ على هذا أجب بكلمة واحدة: من التجربة. ففيها تقوم كل معرفتنا، ومنها تشتق كلياً"^٣. ويقول المعلمي عند بيان هذا الأصل عند هؤلاء الفلاسفة الحسيين وأنهم كانوا ردة فعل لأسلافهم الذين غلوا في التخيل: "أما فلاسفة العصر؛ فإن فلسفتهم كانت رد فعل لفلسفة اليونان ومن تبعهم، فأولئك توسعوا في الخياليات والحدسيات، وهؤلاء حصرُوا فلسفتهم في المحسوسات، وإنما يأخذون من القياسات بمقدار ما تضطرهم إليه أمور دنياهم، ويصرحون بأن الإلهيات لم يقيم عليها عندهم دليل محسوس، وأنهم لم يحيطوا بكل شيء من المحسوسات فضلاً عن غيرها.."^٤

ومن ذلك إشاراته المتكررة إلى مصادر الأفكار التي يناقشها، ومن أمثلة ذلك

١ مجموع رسائل أصول الفقه "١٩: ٦٤".

٢ ينظر لمناقشة هذا المذهب الفلسفي كتاب المعرفة في الإسلام للدكتور عبد الله القرني "٤٨١"، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الثانية "١٤٢٩ هـ".

٣ الموسوعة الفلسفية العربية "٢: ٥١١"، رئيس التحرير د. معن زيادة، معهد الانتحاء العربي، الطبعة الأولى "١٩٨٨ م".

٤ يسر العقيدة الإسلامية للمعلمي "٥: ٣٩".

إشارته إلى المصادر الاستشراقية لمادّة أبي رية في هجومه على السنة النبوية، وأن كتابه مجرد مضغ سافر لأكاذيب الاستشراقية.

و حين أحال أبو رية في أحد المواضع إلى المستشرقين بقوله: "ومن شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي فليرجع إلى التفسير والحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال جولد زيهر، وفون كريمر وغيرهما" ^٢ اغتبط الشيخ بإحالته هذه على المستشرقين واعتبره كشف أوراقه وإحالاته الخفيّة، وقال: "أقول: هذا موضع المثل: "صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ"."

المطلب الثاني: العناية بالنقد دون تجريح

يبالغ بعض الناس في التشنيع على المخالفين، وربما حملت بعضهم الغيرة المتوقّدة الصادقة على استعمال أقذع مفردات الخطّ وأبشع عبارات النكايّة، وهذا المسلك السّجالي مع المخالف كثيرا ما يضر أكثر مما ينفع، فقلّمًا ينتفع المخالف بمن يسبه ويشتمه، وإنها يحمله غالبا على العناد والتصلب، قال الإمام أحمد بن حنبل: "ما أغضبت رجلا فقبل منك".

١ ينظر: الأنوار الكاشفة للمعلمي "12: 145".

٢ الأنوار الكاشفة للمعلمي "12: 193".

٣ يضرب هذا المثل لمن يكشف سرا مخبوءًا. يُنظر المستقصى في أمثال العرب "2: 140"، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية "1987م".

٤ الأمر بالمعروف وللخلال "43"، تحقيق الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة

الأولى "1424 هـ".

وقد كان الشيخ المعلمي واعياً بهذين الجانبين تمام الوعي، فهو يقول في مقدمة إحدى رسائله: "الأولى في خطاب الجهال الرفق واللين، والسعي في إيضاح الحقائق باللطف والحكمة، لأنَّ الجهل داءٌ عيَّاءٌ، لا يتيسَّر له دواءٌ إلاَّ إذا وُجد طبيبٌ حاذقٌ، وليس القصد من التَّأليف في هذه القضية مجرد إقامة الحُجَّة والخروج من عهدة السُّكوت، بل القصد مع ذلك إنقاذ هؤلاء المساكين من تخبُّطات الشياطين".

وهو يحكي عن الإمام الشافعي - رحمه الله - بأنه "على وفور أدبه وحُسن معاشرته لمحمد [بن الحسن] وغيره لا يقصِّر في إظهار حجته".^١ ويقرر الشيخ أن تغليب العالم وتضعيف قوله لا يقتضي الطعن به وانتهاك حرمة، فيقول: "إنَّ تضعيف قول العالم لا يلزم منه الطعن عليه ولا إساءة الأدب في حقِّه ولا انتهاك حرمة، وهؤلاء الأئمة أنفسهم وأبو حنيفة نفسه قد ضعَّفوا أقوالاً من أقوال أئمة الصحابة والتابعين، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم".^٢

وهكذا كان الشيخ المعلمي في عامَّة سجلاته الفكرية مع المخالفين، يجمع بين العناية بأدب المناظرة، وتوخي الدقة التامة في حكاية شبهة المخالف ثم الشروع في استيفاء إقامة الحُجَّة، ويتضح ذلك بالنقاط التالية:

١ مجموع رسائل العقيدة "6: 182".

٢ الجواب عن مطاعن الكوثري على الإمام الشافعي للمعلمي "15: 311".

٣ فوائد المجاميع للمعلمي "24: 419"، تحقيق علي العمران ونبيل السندي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى "1434هـ".

أولاً: استيفاء الحجّة مع الأدب الوافر:

في أثناء قراءة بحوثه العقدية التي سطرها الشيخ فإنك لا تكاد تجد إلا الأدلة الشرعية والمناقشات العقلية والمباحثات العلمية بلغة الناصح المشفق في كتابته، فلا تكاد تجد الشيخ في أثناء هذه البحوث يعول على شيء البتة غير الحجّة العلمية، فهو "أبعد ما يكون عن استعمال القسوة والتشنيع على المخالفين، يكتب بقلم الناصح المشفق، وكأنّه يستحضر وهو يكتب أن قارئه أمضى حقبة على الخطأ الذي سيستدركه في كتابته، وأنّ هذا القارئ المخالف مائل أمامه، أو جالس بجواره، يستمع إلى أدلته، ويتأمل في عبارته، أفتراه سيسفهه أو يعنفه! أم يسبه ويوبخه؟! إنّه يأخذه باللين والرفق، والحيدة العلمية العجيبة، وكأنه خالي الذهن تماماً من مسألة الخلاف، سيبدأ بحثها من الصفر، فلا يلبث أن يتسلل بأسلوبه هذا إلى قلب قارئه مهما كان مخالفاً له، فإنّ لم يقنعه حدّ من تعصبه، وهزّ قناعته المألوفة، المبنية على تقليد مجرد، وتلك المزية التي قلما تجدها في هذا النوع من المسائل والبحوث: خلافيات العقائد، ذات الحساسية المذهبية: أن يكتب الباحث بلغة تناسب مخالفة، بقلم التآلف وإحسان الظن، ومراعاة الأتباع والمحايد، ممن لم يتبنوا رأياً بعدُ حيال المسألة، كما لو كان في مجلس جدل بالحسنى، أو حوار ومناظرة، لا أن يكتب للموافقين؛ بقلم البراءة والتنفير، والتشويه والتعيير، فيصدق عليه المثل: أوَسَعْتَهُمْ شَتْمًا وراحووا بالإبل".^١

١ مقالة بعنوان العلامة العلمي والتحقيق العقدي للدكتور سعود العريفي، منشورة على الشبكة

الإلكترونية، ملتقى أهل التفسير.

ثانياً: الصدق في حكاية مذاهب المخالفين وتفصيل شبهاتهم

للشيخ عناية تامة بحكاية أقوال ومذاهب وشبه المخالفين على وجهها الصحيح الذي يذكره أصحابها، فإن كثيراً من الناس يقصرون في حكاية الشبهات، فلا يسوقونها على وجهها الذي يقرره أصحابها، وذلك إما إمعاناً في تشويه المخالف، وإما خوفاً من تأثيرها على الموافق، أما الشيخ فيرى أن الشبهة إذا اشتهرت وذاعت واستطيل بها على الشريعة، فلا بد من سوقها على وجهها كما يقررها أصحابها ثم الشروع في تنفيذها ونقضها، يقول الشيخ مقرراً هذا المعنى: "لعل أكثر الناس ينكر عليّ تقرير هذا المعنى؛ فأقول له: اعلم أنّ الكفار والملحدين يقررون ذلك، ويسطّون به على علماء المسلمين فضلاً عن غيرهم، ولا سيّما الشباب الذين سيقوا إلى أن يكونوا في مدارس معلّموها من هؤلاء الملحدين أو الكفار، والدّين الحقّ لا يضرّه تقرير الشّبه، وإنّما يحظر على العالم أن يثير شُبهةً لا يزال أهل الكفر والضلال غافلين عنها، فأما مثل هذه الشُّبهة ممّا قد أثاروه وأصلّوا به فلا بدّ للعالم من ذكره وإقامة البرهان بما يزيله".^١

وهذا المعنى الدقيق في حكاية الشبهات والذي قرره الشيخ المعلّم يقرره أيضاً أبو

حامد الغزالي^٢.

ثالثاً: النكاية اللفظية والنكاية العلمية

ردّ الشيخ المعلّم على الأستاذ الكوثري رداً علمياً بعنوان "طليعة التنكيل"، ثم

١ حقيقة التأويل للمعلمي "6: 68".

٢ ينظر: المنقذ من الضلال للغزالي "86-87".

وقعت مسودة هذا الكتاب قبل وصوله إلى المطبعة بيد أحد المشايخ الفضلاء، فرأى ذلك الشيخ الفاضل أن يزيد في متن الكتاب شيئاً من عبارات النكاية وجملة من مفردات الطعن على المخالف، توهُمًا منه أن الشيخ أذن له بذلك، وظنًا منه أن هذا أدعى لنصرة الحق وأبلغ في التنفير من المخالف، فلما رأى الشيخ المعلمي ذلك الصنيع منه توجع وتبرأ من تبعة تلك العبارات الجارحة!

يقصّ الشيخ المعلمي هذا الخبر بقوله في مقدمة كتابه تعزيز الطليعة:

"طُبِعَت "الطليعة" بعيداً عني، وبعد مدة وصلت إليّ منها بضع نسخ مطبوعة، وكنت عند إرسال المسوّدة إلى الناشر أذنت بالتعليق، ويمكن أني أذنتُ بالإصلاح، وكنت أعتقد أن ذلك لن يتعدى زيادة فائدة، أو التنبيه على خطأ، فلما وقفت على المطبوع وجدت خلاف ذلك، رأيت تعليقات وتصرفات في المتن إنما تدور على التشنيع الذي يسوء الموافق من متبني أهل العلم، ويعجب المخالف... فكتبتُ إلى الناشر في ذلك على أمل استدراك التنبيه على الأغلط، وعلى ما يدفع عني تبعة ذلك التشنيع".^١

وقال الشيخ عن تلك العبارات مخاطباً الأستاذ الكوثري: "وقد قدمت أنه لا ذنب لي فيها، ولو كانت مما عمّلت يدي لما أنكرتها، بل إن كنت أرى لي مبرراً في الإقدام عليها ذكرته، وإلا اعترفت بزلي. والله المستعان".^٢

وقال الشيخ في رسالة بعثها إلى أحدهم يتوجع فيها من صنيع ذلك الشيخ المتصرف

١ تعزيز الطليعة للمعلمي "94: 9".

٢ شكر الترحيب للمعلمي "9: 194".

بكتابه: "ألمني أن الفاضل الذي علق عليها تصرف في مواضع من المتن بباعث النكايه في صاحب "التأنيب"، وذلك عندي خارج عن المقصود، بل ربما يكون منافياً له، وفي النكايه العلميه كفايه لو كانت النكايه مقصوده لذاتها".^١

فيري الشيخ أن النكايه بالألفاظ الجارحة ليست مقصوده للباحث، لكن إن كانت النكايه مقصوده لذاتها، فيكفي الباحث النكايه العلميه وهي في الاقتصار في الجملة على نظم الحجج العلميه.

وفي عامه الكتاب ينعت الشيخ مخالفه بالأستاذ، وربما سماه في بعض المواضع بـ"الأستاذ العلامة"، وذلك نحو قوله: "أما بعد، فإني لما وقفت على كتاب "تأنيب الخطيب" للأستاذ العلامة محمد زاهد الكوثري..".^٢

ولا يجد حرجاً في الثناء على غزارة علم خصمه، وسعة معرفته قائلاً: "أقول - عالماً أن الله تبارك وتعالى رقيب حسيب - : أما ثنائي على معرفة الأستاذ وتيقظه، فذاك ما لا ريب فيه. ومن تأمل تأليفاته علم ذلك حق العلم".^٣

رابعاً: دفع الصائل على أعراض الأئمة

حافظ الشيخ المعلمي على هذا الأدب الوافر في عامه ردوده ومناقشاته العلميه، فكان مقتصرًا في جملتها على سرد الحجج العلميه، والإعراض عن التهويلات والتشنيعات، وهو

١ المدخل إلى آثار الشيخ المعلمي "1: 311".

٢ طليعة التنكيل للمعلمي "9: 3".

٣ شكر الترحيب للمعلمي "9: 194".

ينصح مخالفه في مواضع مختلفة بامثال هذا المسلك العلمي الرفيع، فيقول على سبيل المثال:
"من عادة الأستاذ أنه يلجأ إلى التهويل، وتكثير السواد، والتشبيث بالمشهورات - وإن لم تصح -، وبالأمر المؤثرة على العوام، وأشباه ذلك. ولو كان يقتصر على الحجج العلمية، لكان خيراً له"^١ ويقول بأن على المستدل الالتزام بـ "الاحترام للعلماء والصالحين؛ فإن ألزمه الدليل مخالفة بعضهم فلا يحمله ذلك على احتقارهم والطعن فيهم، وليعرف لهم حقهم ويعتذر لهم بما استطاع مع المحافظة على الحق أينما كان"^٢.

لكن ثمة مواضع يسيرة جداً اقتضاها صنيع المخالف عبر الشيخ فيها بما يناسبها، والشيخ يعتذر عنها، ويرى أن ذلك مما يقتضيه مقام الدفاع عن الأئمة في تلك المواضع اليسيرة، فيقول الشيخ في مقدمة كتابه التنكيل: "حَرَصْتُ على توخِّي الحق والعدل، واجتناب ما كرهته للأستاذ، خلا أن إفراطه في إساءة القول في الأئمة جرّأني على أن أصرّح ببعض ما يقتضيه صنيعه..."^٣.

ويبين الشيخ في موضع آخر أنه لن ينزل للأساليب غير العلمية لكن على شرط أن لا يتعدى القول إلى الإساءة إلى الأئمة، فيقول: "... ومع ذلك، فأنا لا أناقشه في ذاك القبيل، على شرط أن لا يتعدى إلى إساءة القول في الأئمة الذين مقامهم عند أتباعهم من المسلمين لا يقل عن مقام أبي حنيفة عند أتباعه. ومقامهم عند أهل العلم المحققين الأبرياء من الهوى - من

١ طليعة التنكيل للمعلمي "9: 196-197".

٢ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 317".

٣ التنكيل للمعلمي "9: 4".

الحنفية وغيرهم - عظيم جداً. حتى سمعت من بعض أهل العلم من الحنفية، وبلغت عن غيره منهم الإنكار الشديد على الأستاذ".

والذي يظهر لي أن مقصود الشيخ بهذه المواضع، نحو موضع طعن فيه الكوثري بفقهِ الإمام أحمد بن حنبل بأسلوب فيه استنقاص وتقليل لا يليق بالإمام أحمد، وذلك بقوله: "وأنتى لغير الفقيه إبداء رأي متزن في فقه الفقهاء".

المبحث الثالث

العناية بالاستقراء والاستنباط

المطلب الأول: الاستقراء

الاستقراء من الأدلة المشتركة بين العلوم التجريبية والعلوم النظرية، وهذا الدليل يبحثه علماء الشريعة في أصول الفقه، ويبحثه المناطقة في علم المنطق سواء المنطق الصوري القديم أو المنطق الحديث، ومن تعريفات العلماء للاستقراء قول الغزالي بأنه "عبارة عن تصفح أمور جزئية لتحكم بحكمها على أمرٍ يشمل تلك الجزئيات ، كقولنا في الوتر: ليس بفرض؛ لأنه يؤدّي على الراحلة والفرض لا يؤدّي على الراحلة. فيقال: لم قلت إن الفرض لا يؤدّي على الراحلة؟ فيقال: عرفناه بالاستقراء إذ رأينا القضاء والأداء والمنذور وسائر أصناف

١ شكر الترحيب للمعلمي "9: 197".

٢ التنكيل للمعلمي "10: 279".

الفرائض لا تؤدي على الراحلة، فقلنا: إن كل فرض لا يؤدي على الراحلة^١. ويلاحظ أن تعريف أبي حامد يحتمل دخول الاستقراء بنوعيه: التام والناقص. ومن ذكر تعريف الاستقراء في كتبه وشرحه وفصله ابن تيمية، وذلك نحو قوله: "الاستقراء هو الحكم على كلي بما تحقق في جزئياته، فإن كان في جميع الجزئيات كان الاستقراء تاماً.."^٢.

ومع تصاعد المنهج التجريبي الحديث طفحت على سطح المناهج العلمية مشكلة الاستقراء، وذلك لكون المعرفة الحسية تفتقر لقدرتها على التعميم، فـ "لم تأخذ مشكلة الاستقراء حيزاً كبيراً من التفكير الفلسفي إلا بعد بروز المنهج التجريبي ذي الخلفية الفلسفية الحسية، التي لا ترى مصدراً للمعارف البشرية سوى الحس مع نفيها لكل الضرورات العقلية القبلية، وبتلك الخلفية المعرفية تقف الفلسفة الحسية حائرة أمام صدق النتائج الاستقرائية التي تُعتبر أساساً للعلوم التجريبي، وتجاه تسويغ تعميم الاستقراء.."^٣.

ويبين ابن تيمية هذه الإشكالية التي تعترض دليل الاستقراء، فيقول ناقلاً عن المناطقة: "قالوا: والاستدلال بالجزئيات على الكلي هو الاستقراء فان كان تاماً فهو الاستقراء التام وهو يفيد اليقين وإن كان ناقصاً لم يفد اليقين، فالأول هو استقراء جميع والحكم عليه بما

١ المستصفي للغزالي "41"، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ.

٢ مجموع الفتاوى "9: 196".

٣ منهج ابن تيمية المعرفي للدعجاني "528-529".

وجد في جزئياته والثاني استقراء أكثرها وقد يكذب كقول القائل: الحيوان إذا أكل حرك فكه الأسفل، لأننا استقريناها فوجدناها هكذا فيقال له: "التمساح يحرك الأعلى!"^١.
وقد ذكر الشيخ المعلمي هذه الإشكالية التي تعترض دليل الاستقراء حسب المنهج التجريبي الحسي بقوله "اعلم أن أعظم ما يستندون إليه هو الاستقراء؛ فيستقرونها ما يدخل تحت حواسهم حتى تنتظم لهم مقدّمةً كليّةً بالنسبة إلى ما استقرواوه، ثم يزعمون أنه لا يخرج موجوداً عن تلك الكليّة، وذلك أمرٌ بدهي البطلان؛ فإنّهم يقولون: الحيوان كلّهُ يحرك فكّه الأسفل إلاّ التمساح، فلو فرّضنا أنّهم لم يروا التمساح ولا سمعوا به، كأن كان في أمريكا قبل اكتشافها = فهذا الاستقراء يكون في زعمهم برهاناً قاطعاً على أنّه لا يوجد حيوانٌ يحرك فكّه الأعلى!"^٢.

وهذا الإشكال على دليل الاستقراء يعسر الجواب عنه خصوصاً عند من يحصر المعرفة البشرية في دليل الحس، فلا بد من بيان الأسس المنطقية لدليل الاستقراء. والذي يعيننا في هذا المطلب الإشارة إلى أحد جوابات الإشكال على تعميم دليل الاستقراء، وهذا الجواب ذكره ابن تيمية وأشار إليه الشيخ المعلمي، وهو أن الاستناد إلى دليل التكرار الذي يحكم العقل باستحالة وقوعه صدفة، يقول ابن تيمية: "فالحس به يعرف الأمور المعينة، ثم إذا تكررت مرة بعد مرة أدرك العقل أن هذا بسبب القدر المشترك الكلي

١ مجموع الفتاوى لابن تيمية "9: 150".

٢ حقيقة التأويل للمعلمي "6: 45".

ففضى قضاء كليا أن هذا يورث اللذة الفلانية وهذا يورث الألم الفلاني".^١

وقد أشار إليه الشيخ المعلمي بقوله عن الطفل: "تجري العادة بأن أمه إذا أرادت إرضاعه ترفعه من مهده، فإذا تكرر هذا أدرك بطريق القياس أنه إذا رفعته من مهده فإنها سترضعه، فتراه إذا مسّه الجوع يبكي، فإذا أخذته من مهده سكت، فإذا مضت هنيهة ولم ترضعه عاد إلى بكائه. وهكذا تتربى معلوماته بالإحساس والقياس، ويقوى القياس في نفسه بالتكرر، وذلك هو الاستقراء".^٢

تطبيقات الاستقراء عند الشيخ المعلمي:

فيما يتعلق بتطبيق دليل الاستقراء لدى الشيخ المعلمي، فنجد الشيخ يعول في مباحثه ومناقشاته على الاستقراء، وذلك في مواضع كثيرة، ومن شواهد ما يلي:

- ألف الشيخ كتاب العبادة وبنى منهجه في هذا الكتاب على الاستقراء للنصوص الشرعية في موضوع العبادة، قال الشيخ عن كتابه: "هو كتاب من تألّفي، استقرأت فيه الآيات القرآنية ودلائل السنة والسيرة وغيرها لتحقيق ما هي العبادة، ثم تحقيق ما هو عبادة لله مما هو عبادة لغيره"^٣.

وقال في موضع آخر: "رأيت أنه لا طريق لتحقيق معنى الكلمتين "إله وعبادة" إلا بتتبع مواردتهما في القرآن مع ما قصّه عمن أخبر عنهم أنهم اتخذوا الأصنام أو غيرها آلهة،

١ الرد على المنطقيين لابن تيمية "386"، دار ترجمان السنة، باكستان "1376 هـ".

٢ يسر العقيدة الإسلامية للمعلمي "5: 7".

٣ التنكيل للمعلمي "11: 435".

وأستعين مع ذلك بالسنة والتاريخ، فإذا وجدت القرآن قد أخبر عن مشركي العرب أنهم اتخذوا الأصنام آلهة وعبدها جهدت أن أعرف ماذا كانوا يعتقدون في الأصنام وماذا كانوا يعملون لها، فإذا تيسر لي ذلك علمت أن ذلك الاعتقاد والعمل مشتمل على التأليه والعبادة، ثم أكرُّ على ذلك بأن أخرج منه ما يُقطع بأنه لا دخل له في ذلك مثل اعتقاد أن الأصنام أحجار، ثم أصنع ذلك في أمّة من الأمم التي قصّ القرآن بعض أخبارها، وفي كل نوع من الأشياء التي نصّ القرآن على أنها اتُّخذت آلهة وُعبدت من دونه، ثم أستخلص القدر المشترك بين الأمم فهو الشرك والعبادة، هذه صورة إجمالية لطريقتي في الكتاب المذكور^١.

وهذه الطريقة المنهجية الاستقرائية التي ذكرها الشيخ، وهي استقراء موارد الكلمة في القرآن والسنة هي من أجل الطرق لمعرفة معاني الوحي، وهي ترتكز على قاعدة منهجية متينة وهي معرفة عادات المتكلم من خطابه.

قال ابن تيمية شارحاً هذه القاعدة: "ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن

والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ، ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه"^٢.

- ومن مواضع استعمال الشيخ لهذه الطريقة الاستقرائية المنهجية في فهم الخطاب حين

قام بتتبع مواقع كلمة "يُغني" في القرآن، ووصوله إلى نتيجة ذكرها من هذا التتبع، يقول الشيخ المعلمي:

١ مقدمة رفع الاشتباه للمعلمي "2: 42".

٢ مجموع الفتاوى "7: 115".

"أما قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: 28] ففيه بحثٌ طويلٌ حاصله: أن تدبّرَ مواقعَ "يغني" في القرآن وغيره، وتدبّرَ سياق الآية؛ يقضي بأن المعنى: إنَّ الظن لا يدفع شيئاً من الحق، وبعبارة أهل الأصول: الظني لا يُعارضُ القطعي".^١

- يركز الشيخ ويحيل قارئه على الاستقراء ليصل إلى نتائجه العلمية، ومن ذلك قوله: "قد استقرأتُ حديثَ أبي هريرة في "مسند أحمد"، فلم أجد لعراكٍ عنه إلا أحرفاً يسيرةً بمتونٍ قصيرة.."^٢

- ومن ذلك قوله: "وبالجمله، فقد استقرأتُ خمسين موضعاً من أول الكتاب، فوجدته يتجه نسبة الخطأ إلى أبي زرعة في هذه المواضع الخمسين، ولا يتجه نسبة الخطأ إلى البخاري نفسه إلا في موضع واحد هو رقم 25 ذكر رجلاً ممن أدركه سماه محمداً، وقال الرازيان وغيرهما: اسمه أحمد"^٣.

- ومن ذلك قوله: "وتوثيق العجلي وجدته بالاستقراء كتوثيق ابن حبان أو أوسع"^٤. وقال في موضع آخر: "فإن العجلي قريب من ابن حبان أو أشد، عرفتُ ذلك بالاستقراء"^٥

١ الأنوار الكاشفة للمعلمي "12: 192 - 193".

٢ رسالة القبلة وقضاء الحاجة للمعلمي "16: 62".

٣ المقدمات وما إليها للمعلمي "25: 199".

٤ الأنوار الكاشفة "12: 90".

٥ الأنوار الكاشفة "12: 149".

وهو أول من نصّ على هذه النتيجة في علم الحديث.

ومن لطيف البحوث عند الشيخ فيما يتعلق بمبحث الاستقراء، تقسيمه للأصول إلى ما يفتقر إلى استقراء، وإلى ما لا يفتقر إليه.

فالأصول اللغوية على سبيل المثال تفتقر إلى الاستقراء "مثاله: كون الحال منصوباً بشرائط، فإن أئمة النحو إنما عرفوا ذلك باستقراء كلام العرب، وبعد الاستقراء جعلوا له هذا الضابط، وصار الناس بعدهم لا يتوصلون إلى معرفة اللغة إلا بواسطة تلك الضوابط".^١

أما ما لا يفتقر إلى الاستقراء عند الشيخ "فإن منها ما هو مبني على العقل كالمجمل والمبين، والعقل لا يحتاج إلى استقراء... ومنها ما هو مبني على الشرع، وهذا لا يحتاج إلى استقراء، بل عليه دليلٌ خاصٌّ، كما يُستدلُّ للقياس بقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]. فالأصول المبنية على الشرع لها أدلة خاصة تدلُّ على نفس الأصل، بخلاف الضوابط التي وضعها أئمة اللغة، فليس لها أدلة كذلك، وإنما كان أمامهم كلمات العرب المنتشرة، فلم يتم لهم وضع تلك الضوابط إلا باستقراءها".^٢

المطلب الثاني: الاستنباط

الاستنباط هو استخراج الدلالة من النصوص، وقد يختص باستخراج ما كان خفياً من الدلالات، فـ "كل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون أو عن معارف

١ تحقيق الكلام للمعالي "4: 85".

٢ تحقيق الكلام للمعالي "4: 86".

القلوب، فهو له: "مستنبط"، يقال: "استنبطت الركبة"^١، وقال الجرجاني: "الاستنباط: استخراج الماء من العين من قولهم: نبط الماء إذا خرج من منبعه. واصطلاحاً: استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة القرينة"^٢.

والشيخ المعلمي له يد طولى في استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، وله استنباطات فذة من نصوص الوحي لم يسبق إليها، وهو في عامة بحوثه ومناقشاته الفقهية والعقدية والحديثية لا تكاد تراه يبنى أقواله على النقول عن العلماء والأئمة في الكتب، وإنما اعتماده على الأدلة النقلية والعقلية.

علة تأليف الأئمة للكتب:

من شواهد التقرير السابق أن الشيخ رغم انتسابه للمذهب الشافعي، يرى أن أئمة المذاهب ألفوا الكتب لغرضين:

١ - حفظاً للنصوص الشرعية.

٢ - تنبيهاً لطرق ووجوه الاستنباط. فلم يؤلفوها ليجمد أتباعهم

عليها ويعرضوا عن فنون الاستنباط من الوحي.

يقول الشيخ مقررًا هذا المعنى: "لم يكن أولئك الأئمة يشعرون بأنها ستنشأ لهم مذاهب على هذا النحو المشاهد أو قريب منه، وأقوالهم وأحوالهم تبيّن ذلك. ومن ألف منهم

١ تفسير الطبري "8: 571".

٢ التعريفات "1: 22". وينظر كتاب مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر للدكتور مساعد الطيار "159" وما بعدها.

الكتب إنما ألفتها تبليغاً لما فيها من السنة وتبييناً على ما تنبّه له من الدلالات وتعليماً لوجوه النظر والاستنباط كانوا هم أنفسهم يمتنعون عن الجواب في كثير من المسائل، ويتوقفون عن الجزم في حكمها إذا ذكروها في كتبهم، ويقولون القول ثم يظهر لهم خطأه فيرجعون عنه، وينهون أصحابهم عن تقليدهم وتقليد غيرهم، ويأمرونهم بالنظر لأنفسهم واتباع الدليل^١. فالشيخ يرى أنّ الواجب على العالم ابتداءً هو النظر في النصوص والاستنباط منها، ولا يرتفع هذا الواجب إلا عند العجز والاضطرار.

ففي مواضع كثيرة من كتبه يقرر أنّ النظر في النصوص الشرعية مباشرة هو الأصل، وأنّ ما سواه عارض لا يلجأ إليه إلا عند الضرورات التي تبيح المحظورات. ويرى أنّ سد باب الاجتهاد والاستنباط خطأً فيقول: "أما أنا فلا أوافق على سدّ باب الاجتهاد وتصحيح الأحاديث^٢"، وأنّ العلماء الذين قالوا بسدّه نظروا في تغير الأحوال وفساد كثير من علماء الزمان، فيقول: "ولهذا - والله أعلم - قال جماعة: إنّ باب الاجتهاد قد انسدّ، وقال ابن الصلاح: إنّ التصحيح والتحسين للأحاديث قد انتهى^٣".

وذكر الشيخ المعلي بعض مفاصد فتح باب الاجتهاد والاستنباط، ثم قال: "وعلى كل حال، فالشر هنا أخف، والمفسدة التي في سدّ الباب مطلقاً أشدّ^٤".

١ مجموع رسائل أصول الفقه للمعلي "19 : 316".

٢ مجموع رسائل أصول الفقه للمعلي "19 : 40".

٣ المرجع نفسه "19 : 39".

٤ المرجع نفسه "19 : 40".

ويرى الشيخ أن الاستنباط من الكتاب والسنة للقادر هو أولى من الاستنباط من أقوال الأئمة، كما يفعله بعض المتمذهبة، فيكون صنيعهم قياساً على قياس على قياس! .
ويرى الشيخ مصلحة سلوكية إيمانية في رد الناس على النصوص الشرعية، وعدم ردهم إلى أقاويل العلماء، فيقول: "فيه مصلحة من أعظم المصالح، وهو إحياء علوم الكتاب والسنة، وإشعار الناس بأنهم إنما يتبعون الكتاب والسنة".
أدوات الاستنباط الشرعي:

ذكر الشيخ المعلمي شروطاً للاستنباط والاستدلال في مواضع من كتبه، وجمع جملتها في بعض المواضع، وسأذكرها ثم أذكر صدقها على حال الشيخ - رحمه الله -، يقول الشيخ:
"لا ينبغي للعاقل أن يزجَّ بنفسه في بحر الاستدلال حتى يجمع أموراً:
- الأول: إتقان العربية وطول ممارستها؛ فإننا نجد من علماء العجم من يغلط في فهم آية أو حديث غلطاً لا نشك فيه. ومع ذلك يصعب علينا أن نقنعه بقاعدة معيَّنة من القواعد المذكورة في كتب النحو وغيرها، وما ذلك إلا لأنه قد بقي من قواعد فهم اللغة ما لا يُعرَف إلا بالممارسة التامة وتربية الذوق الصادق.. الثاني: المعرفة بالمعاني والبيان مع حظٍّ من معرفة أشعار العرب وفهم معانيها ولطائفها وتطبيقها على قواعد المعاني والبيان ممارساً لذلك".
- أما اتقان العربية وطول ممارستها، فالشيخ من العلماء اللغويين البارعين، وله عناية

١ ينظر: المرجع نفسه "41: 19".

٢ المرجع نفسه "41: 19".

٣ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 315".

تامة في جميع علوم العربية وتدرسيها نصوصاً وقواعد، وله حظ كبير من معرفة أشعار العرب، يظهر ذلك من خلال استشهاده ودقة استنباطاته، وله اجتهادات خاصة لم يسبق إليها في علوم اللغة^١.

- ثم يقول الشيخ: "الثالث: معرفة أصول الفقه والتمكن فيها على وجه التحقيق لا التقليد، وكثرة الممارسة لتطبيق الفروع على الأصول"^٢.

- للشيخ عناية بعلم الأصول تتجلى من خلال تأليفه عدة رسائل ومباحث أصولية خاصة^٣، وتظهر من خلال نفسه الأصولي في عرض الأدلة، وذكر علل الأحكام ومناقشتها، وذلك في عامة كتبه ورسائله.

- ثم يقول الشيخ: "الرابع: معرفة مصطلح الحديث والتمكّن فيه، وطرف صالح من معرفة الرجال ومراتبهم وأحوالهم. الخامس: كثرة مطالعة كتب الحديث، وتفهم معانيه، ومعرفة صحيحه من سقيم، والممارسة لذلك إلى أن تكون له ملكة صحيحة في معرفة العلل والتوفيق بين المختلفات والترجيح بين المتعارضات. ويلحق بذلك معرفة السيرة النبوية وأحوال العرب قبل الإسلام وأحوال الصحابة وعلماء التابعين وتابعيهم"^٤.

- أما علم الحديث بكافة فنونه وجملة مباحثه فهو من ألصق العلوم بالشيخ المعلي،

١ يُنظر عناية الشيخ بالعربية في مطلب المؤثرات على حياته الفكرية.

٢ رفع الاشتباه للمعلمي "٢: 316".

٣ ينظر مجموع رسائل أصول الفقه في المجموع.

٤ رفع الاشتباه للمعلمي "٢: 316".

وبهذا الفن طار ذكر المعلّمي في الناس، فلا ينازع أحد من أهل العلم أن الشيخ من نوادر المشتغلين بهذا الباب تحريراً وتقريراً وتأليفاً واجتهاداً واستنباطاً واستقراءً في هذه العصور المتأخرة.

- ثم يقول الشيخ: "السادس: معرفة العلماء ومراتبهم في العلم ومزاياهم الخاصة التي يتفاوتون فيها، كشدة الاعتصام بالكتاب والسنة والورع وتجنب الأهواء والبدع والإخلاص وعدم العصبية وغير ذلك، ولا يقتصر على ما هو مشهور بين الناس من الفضائل والمناقب فإن كثيراً من ذلك نشأ عن التعصب للمتبعين والمغالاة فيهم وتنقيص مخالفهم".
- أما معرفة العلماء واستظهار تراجمهم والنظر في مراتبهم وتحرير الأقوال فيهم عند تعارض الجرح والتعديل، فيكفي الباحث لمعرفة جلالة قدر الشيخ في جميع ذلك النظر في كتاب التنكيل.

- ثم يقول الشيخ: "السابع - وهو الأوّل في الرتبة والأوّل بالناية -: كثرة تدبر كتاب الله عزّ وجلّ وتفهم معانيه، وليختبر فهمه له ويكرر امتحان نفسه حتى يحصل له الوثوق التام بأن فهمه فهم العلماء، وليكن اعتماده على الفهم المطابق للقواعد العلمية ولا يقتصر على "قال فلان وقال فلان"^١.

- مع أن عناية الشيخ بالقرآن ظاهرة تمام الظهور في عامة كتبه ومصنفاته نحو كتاب العبادة الذي أبان عن توغله العميق في تدبر الآيات، إلا أن للشيخ -فوق ذلك- عدداً من

١ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 317".

٢ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 317".

الرسائل المستقلة في التفسير، والتي تدل على كثرة تدبره وتمعنه في آيات القرآن، وهو في عامة هذه الرسائل يجري على طريقته من تأمل الآيات وإمعان النظر في دلالاتها واستنباط المعاني المتضمنة وفق القواعد المتبعة.

- ثم يقول الشيخ: "الثامن: الإخلاص ومحبة الحق وتطهير النفس من الهوى والتعصب وحب الجاه والشهرة والغلبة، وأن يكون أعظم همّه موافقة الحق وإن خالف آباءه ومشايخه وعاداه أكثر الناس، ويكون مع ذلك محافظاً على الطاعات متنزّهاً عن المعاصي بقدر الاستطاعة، ويبتهل إلى الله عزّ وجلّ في كلّ وقت أن يهديه ويرشده ويوفّقه ويسدده..."، ولا أزكي الشيخ وإنما ذكرت في مطلب "المؤثرات على حياته الفكرية" دلائل على إخلاصه وتجرده في طلب الحق، نحسبه كذلك والله حسيبه.

مثارات الغلط في الاستنباط:

ينبه الشيخ على مثارات الغلط في الاستنباط في مواضع كثيرة من كتبه، فمن ذلك ما

يلي:

- مخالفة الإجماع، ونبه الشيخ على هذا السبب مراراً في كتبه، فمن ذلك قوله: "عظم العلماء شأن الإجماع، حتى إذا نبغ نابغ من أولئك المتخوضين كفى أن يقال له وللناس: هذا خرق للإجماع". ويقرر أنه عندما يقول أهل القرون الأولى الثلاثة الفاضلة حكماً ولم يعلم فيه

١ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 317".

٢ مجموع رسائل أصول الفقه للمعلمي "19: 39".

لهم مخالف، فينبغي قبوله واتباعه، وإنما يبقى باب الاجتهاد فيها مختلفوا فيه.

- الغفلة عن جمع نصوص الباب. وهذا من أكبر مثرات الغلط في الاستنباط، يقول الشيخ: "من الناس من يحتج في هذا الباب بآية من كتاب الله عزَّ وجلَّ أو سنة ثابتة عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويغفل أو يتغافل عن عِدَّة آيات أو سنن أخرى تعارض استدلاله. وهذا غلط شنيع؛ فإن الكتاب والسنة كالكلام الواحد، بمعنى أن الاستدلال على مطلب من المطالب بآية أو حديث لا يتم الوثوق به إلا بعد العلم بأنه ليس في آية أخرى من آيات القرآن ولا حديث آخر من الأحاديث الثابتة ما يخالفه.."^١.

- عدم استفراغ الوسع في تدبر الأدلة والنظر فيها لمانع من الموانع. فالشيخ يرى أن الحجج القاطعة على ضربين، فمنها "ما لا يستطيع المعاند إنكاره، ولو أنكره لمقتته الناس جميعاً ولم تكن هناك أدنى شبهة يجوز أن يعتذر بها عنه، كأن يكون بصيراً في مكان مكشوف، وحوله أمة من الناس، والشمس وسط السماء ليس دونها سحاب؛ فإنه لا يقدر أن ينكر كون الشمس في ذلك الوقت طالعة على ذلك المكان"^٢.

ومن الحجج "ما يستطيع المعاند إنكاره؛ لظنه أنه لا يعدم عذراً عند الناس، كأن يكون العلم بتلك الحجة متوقفاً على التدبر والتأمل، فيقال: لعل هذا لم يتدبر ولم يتفكر، بل قد يكون الواقع كذلك، أعني أنه لم يتدبر ولم يتفكر، إما لأنه قد أَلْفَ ذلك القول الباطل ووجد عليه

١ مجموع رسائل أصول الفقه للمعلمي "19 : 40".

٢ رفع الاشتباه للمعلمي "2 : 314".

٣ رفع الاشتباه للمعلمي "2 : 321".

آباءه ومشايخه ويصعب عليه أن يتبين بطلانه، فهو يَصُدُّ نَفْسَهُ عن التدبر والتفكر ويغالطها ويقنعها بأن ما هو عليه هو الحق، وإما لأنه أخذ ما هو عليه تقليدًا عن مُعَظَمِّ عنده يغلو في اعتقاده فيه، وإما لأنه يتوهم أن ما هو عليه هو الحق، ويخشى أن يوقعه التدبر والتفكر في خلاف الحق أو نحو ذلك، وهذه الأعذار وشبهها تمنع الناس أن يسخروا منه كما يسخرون من المنكر للضرب الأول إذا علمت ذلك فاعلم أن عامة الحجج الدينية من الضرب الثاني..^١.

- مخالفة الاستنباط للأحاديث الصحيحة. ذكر الشيخ مسألة ثم قال: "الحديث مصحح

كما ترى، وله طرق وشواهد، وهو المشهور بين أهل العلم والعامّة إلى زماننا هذا، والنظر لا يأباه على ما يأتي، فلا ينبغي الإعراض عن هذا كله إلى استنباط مدخول"^٢.

- الخضوع للضغط الفكري لمنطلقات الخصوم. ناقش الشيخ مسألة رمي الطير لحجارة

من سجيل في سورة الفيل، ثم ذكر أن من بواعث الخطأ في هذه المسألة هو الخضوع لثقافة ومنطلقات خصوم الشريعة بقصد الدفاع والذود عنها^٣.

١ رفع الاشتباه للمعلمي "2: 321-322".

٢ رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل للمعلمي "8: 87".

٣ ينظر: رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل للمعلمي "8: 79".

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أفيّدُ جملةً من النتائج:

1- أهمية العناية بدراسة المناهج عموماً وضوابط التفكير خصوصاً، فالمعرفة الإنسانية إنما ترتقي وتتقدم لا بمعرفة ركام من المعلومات غير المترابطة، بل تتقدم المعارف الإنسانية بالوقوف على الأنظمة الكلية للمعارف، ولا يمكن أن يكتمل بناء التفكير الناقد لدى الناظر دون الإحاطة بمناهج التفكير ومباحثها، فهي تمنحه القدرة على الاختبار والمحكمة والنقد الجذري، وذلك من خلال مقارنة المخرجات بمقدماتها، ورد الفروع إلى أصولها، ثم محاكمتها إليها.

2- الثبت من أركان التفكير المنهجي الصحيح، ومن اختل عنده هذا الركن فقد أعظم المرتكزات المنهجية للوصول إلى نتائج علمية صحيحة.

3- من أعظم دلائل استقامة التفكير المنهجي وأبين براهين صحة الفكرة اطرادها وسلامتها من التناقض الداخلي، وللشيخ المعلمي عناية بالاطراد المنهجي.

4- المقالات المنتحلة في الفروع والأصول تتفرع عن أصول فكرية، ففي كل حقل علمي هناك أصول محددة وفروع ناشئة عنها، وما لم يعرف الباحث أصول الأفكار والأقوال وبواعثها الخفية فإنه يبقى في قلبه تردد واشتباه، والشيخ المعلمي كثيراً ما يلفت انتباه القارئ إلى الأصول الفكرية والبواعث الخفية وراء المقالات المنتحلة في الأصول والفروع.

5- يبالغ بعض الناس في التشنيع على المخالفين ويحمّله ذلك على ترك حكاية أقوالهم

الباطلة بصدق، وللمعلمي عناية بحكاية أقوال المخالفين وشبههم كما هي، ثم مناقشتها وتفنيدها وإطلاق الأحكام العلمية عليها بكلّ صدق ودقّة وتجرد.

6- الاستقراء من الأدلة المشتركة بين العلوم التجريبية والعلوم النظرية، وهذا الدليل

يبحثه علماء الشريعة في أصول الفقه، ويبحثه المناطقة في علم المنطق، ونجد الشيخ يعول في مباحثه ومناقشاته على دليل الاستقراء، وذلك في مواضع كثيرة، وقد ذكرت شواهد لذلك من كتبه.

7- الاستنباط هو استخراج الدلالة من النصوص، وقد يختص باستخراج ما كان خفياً

من الدلالات، والشيخ المعلمي له يد طولى في استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، وله استنباطات فذة من نصوص الوحي لم يسبق إليها، وهو في عامة بحوثه ومناقشاته الفقهية والعقدية والحديثية لا تكاد تراه يبني أقواله على النقل المحض، وإنما على الاستنباط المنضبط.

8- المبالغة في التشنيع على المخالفين واستعمال أقذع مفردات الحطّ وأبشع عبارات

النكاية كثيراً ما يضر أكثر مما ينفع، فقلماً ينتفع المخالف بمن يسبه ويشتمه، وإنما يحمله هذا المسلك غالباً على العناد والتصلب، وكما يقرر الشيخ المعلمي أن في النكاية العلمية كفاية إن كانت النكاية مقصودة لذاتها.